

# أنتروبولوجية الإنسان الأمازيغي

د. جميل حمداوي

## المقدمة :

من المعلوم أن الكتابة هي المعيار الحقيقي للتمييز بين العصور التاريخية وما قبل التاريخ. وبالتالي، يصعب علينا معرفة الإنسان في فترة ما قبل التدوين والتسجيل والكتابة، إلا ما تقدمه لنا الحفريات والآثار والمعطيات الأنتروبولوجية والأركيولوجية. وعلى الرغم من ذلك، يمكن تقسيم فترة ما قبل التاريخ إلى ثلاثة عصور أساسية هي: العصر الحجري، والعصر البرونزي، والعصر الحديدي. في حين، تنقسم مرحلة التاريخ إلى العهد القديم، والعصر الوسيط، والعصر الحديث، والعصر المعاصر. وما يهمنا في هذه الدراسة هو التوقف عند الفترة الزمنية التي ظهر فيها الإنسان في شمال أفريقيا، مع تبيان طبيعة هذا الإنسان، ورصد خصائصه الأنتروبولوجية والتاريخية والوراثية، واستجلاء مختلف المراحل الحفرية التي مر بها هذا الإنسان، واستكشاف مختلف الأدوات التي استعملها للتكيف مع الطبيعة التي كانت تحيط به، ورصد مختلف الحضارات الإنسانية التي تعاقبت على شمال أفريقيا.

## X مراحل نشأة الإنسان :

من المعلوم أن نشأة الإنسان فوق البسيطة قضية علمية شائكة في مجال الأنتروبولوجيا أو علم الإنسان؛ نظرا لتضارب الآراء بين الباحثين، واختلاف أقوالهم في ذلك. وقد أثبتت الدراسات الإنسانية والحفرية والأثرية أن المرحلة الأولى لظهور الإنسان كان منذ ثلاثين مليون سنة، مع ظهور نوع من الثدييات القردية والبشرية الصغيرة التي لا تتجاوز نصف متر، وكان ظهورها بمصر القديمة. وفي هذا الصدد، يقول الدكتور عدنان أحمد مسلم :« كانت المرحلة الأولى منذ ثلاثين مليون سنة، وتمثلت بظهور نوع من الثدييات القردية والبشرية

التي لم يكن طول قامتها يتجاوز نصف متر، ولم يكن في فمها سوى نصف فك، وقد عثر على بقايا هياكل عظمية لهذه النماذج الأولى في منطقة الفيوم جنوب القاهرة. مما يعني أن أرض مصر القديمة قد تكون المهد الأول للبشرية. وقد عرفت هذه النماذج باسم (بروبليوباتاك).<sup>1</sup>

أما المرحلة الثانية، فهي مرحلة الإنسان (راماباتاك) الذي ظهر منذ خمسة عشر مليون سنة في إفريقيا وأوروبا وآسيا، وقد تميزت هذه النماذج البشرية « بحجم جمجمة أكبر بكثير من حجم جمجمة النموذج الفيومي المصري الأول، لكن مساحة الوجه أضيق، وعدد الأسنان أقل. وقد عاشت هذه السلالة في الغابات إجمالا، وكانت تعتمد في غذائها على العشب والنبات بشكل رئيس. ويبدو أنها كانت تستعمل الحجارة لتحطيم عظام الحيوانات لكي تتغذى بالنخاع العظمي.»<sup>2</sup>

أما المرحلة الثالثة، فتسمى بمرحلة النموذج الأسترالي، وقد ظهر بأفريقيا منذ ستة ملايين عام، ويسمى أيضا بما قبل الإنسان، وقد احتفظ بمعظم الملامح العامة (للراماباتاك)، وإن كان في تميز عنه بارتفاع حجم الجمجمة إلى ست مائة سنتيمتر مكعب بدل أربع مئة، لكن مساحة الوجه ظلت ضيقة. ويبدو أن الإنسان الأسترالي قد حقق تطورا خطيرا جدا بالنسبة لمسار النوع البشري؛ ذلك أنه بعد أن كانت نماذج المرحلتين السابقتين تدب على أطرافها الأربعة، مشى الإنسان الأسترالي على قدميه فقط... وهذه المرحلة الأسترالية هي التي يصطلح العلماء على تسميتها بمرحلة ما قبل التاريخ أو فجر

1 - د. عدنان أحمد مسلم: محاضرات في الأنتروبولوجيا (علم الإنسان)، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى سنة 2001م، ص: 29.

2 - د. عدنان أحمد مسلم: محاضرات في الأنتروبولوجيا (علم الإنسان)، ص: 29.

النقطة التي يسعنا عندها القول: «هذه هي نقطة البداية بالضبط». بمعنى أنه لا نستطيع تشخيص بداية محددة للإنسان، كما هو الحال في صعوبة تحديد بداية للكون، أو بداية أصل الحياة، ولكننا نستطيع تحديد حقب زمنية معينة شهدت بدايات التغيرات على الرئيسيات العليا التي أفضت لظهور الإنسان.<sup>7</sup>

وعلى العموم، فقبل أن يتحول المخلوق البشري إلى إنسان عاقل، كما هو الإنسان اليوم، فقد مر بمجموعة من التحولات البيولوجية والدماغية والعقلية؛ نتيجة لمجموعة من العوامل المناخية والوراثية، فقد بدأ بالملامح القردية وصولاً إلى اكتساب الملامح الإنسانية المعاصرة. ومن هنا، «تشير الأبحاث الحفرية إلى أنه، قبل نحو 35 مليون عام، ظهر أوائل الأسلاف الحقيقيين المشتركين للإنسان وللقرود. أي: الرئيسيات العليا التي انعزلت في القارة الإفريقية، حين كانت كلها عبارة عن جزيرة. وتشير الدراسات الجيولوجية أنه، قبل نحو 17 مليون عام، التقت الصفيحة الإفريقية العربية بالصفيحة الأوروبية الآسيوية، مما شكل جسراً برياً بين تلك القارات، سمح من خلاله للكائنات الحية أن تتنقل فيما بينها.»<sup>8</sup>

وبعد ذلك، ظهرت مجموعة من الأنواع الإنسانية، مثل الإنسان الأسترالي، والإنسان العاقل، والإنسان البناء، والإنسان العاقل...

«ومن هذا المنطلق، يمكن عد (هومو هابيلوس) الحاذق (العاقل) الأب الحقيقي لإنسان الأزمنة الحديثة، مما يعني أن عمر البشرية الحالية يرقى إلى مليونين ونصف المليون سنة. وذلك أن المراحل السابقة (للهابيلوس) لم تكن سوى مقدمة للنموذج البشري.»<sup>9</sup>

وعلى أي حال، فقد تحققت مجموعة من التطورات التي مست الكائن البشري؛ ويرجع ذلك إلى عوامل مناخية وبيولوجية عدة، لحقت الكرة الأرضية منذ عشرين مليون سنة. وقد ترتب عن ذلك التطور أن انتقل الإنسان من كائن بيولوجي حيواني إلى كائن

### التاريخ.<sup>3</sup>

أما المرحلة الرابعة، فهي مرحلة الإنسان العارف أو الحاذق (هومو هابيلوس)، وكان ذلك منذ مليونين ونصف المليون عام، وهو نسخة متطورة لنموذج الإنسان الأسترالي يتميز عنه بأنه أطول قامته، وحجم الدماغ صار -هنا- أكبر بكثير (ثمان مائة سنتيمتر مكعب بدل ست مائة)، كما أن قوامه استقام عمودياً، بعدما كان قوام الأسترالي مائلاً إلى الانحناء. كما تتميز الإنسان الحاذق بقدرته على قرض أي شيء، سواء أكان لحمياً أم نباتياً، وذلك بفضل أسنانه الأقوى، والأكبر عدداً، والأكثر تنوعاً، مما جعله قادراً على التأقلم مع أي نوع من البيئة.<sup>4</sup>

وأكثر من هذا، فقد عرف هذا الإنسان الحاذق العارف الصيد، وسكن الأكواخ، وصنع أدواته الحجرية، وتحول نحو مجتمع أسري، وقد انبثق عن هذا الكائن ما يسمى بالإنسان البناء (هومو إريكتوس) الذي ظهر بأفريقيا، وانتشر في مختلف مناطق العالم، خاصة في الصين وفلسطين القديمة، وكان ذلك منذ مليون وخمسمائة ألف عام. وقد تميز إنسان هذه المرحلة بتحقيق تقدم مهم في تطوير أدوات الصيد، كما أحرز تقدماً مهماً في مجال إحكام سيطرته التامة على النار، وإخضاعها للاستخدام في معظم أوجه حياته.<sup>5</sup>

وبعد ذلك، ظهر الإنسان العاقل (الهومو سابينس) وهو الجد الأقرب للإنسان الحديث، كان ذلك منذ مائتي ألف سنة، «وقد تميز بقامته الأطول، وبجمجمته الأضخم، وبمساحة وجهه الأوسع.»<sup>6</sup>

وعليه، تبقى هذه النظريات والتصورات الأنتروبولوجية نسبية وافترضية واحتمالية، قابلة للنقاش العلمي، كلما توصل الباحثون إلى مكتشفات أثرية وأركيولوجية وباليونتولوجية جديدة، فلا أحد يعلم على وجه اليقين متى بالتحديد ظهر أول إنسان، فتحديد بدايات الشيء من أصعب ما يكون، فالبدايات تكون غير واضحة أحياناً، لأن التغيرات التي تؤثر عليها تحدث دائماً عبر عملية التطور. أي: تراكم تغييرات صغيرة، وأحياناً صغيرة جداً، ولكنها مهمة، لذلك لا نستطيع تحديد تلك

7- عبد الغني سلامة: (ظهور الإنسان)، موقع الحوار المتمتين، العدد: 3455، 13/08/2011م.

271173=aid?asp.art.show/debat/org.ahewar.www//:http

8- عبد الغني سلامة: (ظهور الإنسان)، الرابط نفسه.

9- د. عدنان أحمد مسلم: نفسه، ص: 33-34.

3- د. عدنان أحمد مسلم: نفسه، ص: 29-30.

4- د. عدنان أحمد مسلم: نفسه، ص: 31.

5- د. عدنان أحمد مسلم: نفسه، ص: 32.

6- د. عدنان أحمد مسلم: نفسه، ص: 32.

هذا، ويرى اصطيغان اكصيل (Stéphane gsell) بأن الدليل على وجود الإنسان بتمازغا هو الأدوات والأسلحة التي عثر عليها في المنطقة. وفي هذا، يقول اكصيل : « إن أقدم الشهادات بوجود الإنسان في شمال أفريقيا هي الأسلحة والأدوات الحجرية التي عثر عليها مع بقايا الحيوانات التي كانت تسكن هذه البلاد في العصر الرابع، أثناء عهد من الحرارة الرطبة. وترجع هذه الأشياء إلى الفترات الأولى من صناعة العصر الحجري القديم، وهي تشبه تلك التي عثر عليها في أقاليم أخرى، وخصوصا منها أوروبا الغربية، حيث يميز علماء ما قبل التاريخ ثلاثة نماذج غالبا ما يعثر عليها مجموعة، وعلى الخصوص منها النموذجان الأخيران. هذه النماذج الثلاثة هي : الشلي المتمثل في الفأس المقطوعة بصفة بسيطة، والأشولي المتمثل في المقدرات اللوزية الشكل التي صنعها بعض الإتقان، ثم المستيري المتمثل في القرنات والشفرات والمكشطات التي عولجت من وجه واحد»<sup>11</sup>

ومن جهة أخرى، يرى شال أندري جوليان بأن أقدم إنسان بربري عثر عليه في شمال أفريقيا يعود إلى 300. أو 400 ألف سنة تقريبا : « أما في عصور ما قبل التاريخ، فقد كانت بلاد البربر تختلف عما هي عليه اليوم اختلافا قويا كلما اقتربنا من أوائل تلك العصور، فالإنسان الأول الذي ظهر في إفريقيا الشمالية. أي : أقدم إنسان عثر على أثر له إلى هذا اليوم، عاش منذ ثلاثمائة أو أربعمائة ألف سنة تقريبا. والثلاثون أو الأربعون قرنا التي يذكرها إنسان هذا العصر بصورة تتفاوت وضوحا تبدو متواضعة للغاية بالنسبة إلى ماضي البشريات المتعاقبة المدهش. إلا أن المنظر الطبيعي نفسه لم يزل يشاهد أطوارها المختلفة. أما في عصور ما قبل التاريخ، فإن المدنات هي التي تبدو بالعكس قارة بالنسبة للطبيعة المتبدلة. والبشر الذين نجد آثارهم في الأحافير (Fossilles) تأملوا مناظر طبيعية تختلف عما نراه اليوم. ومظاهر التضاريس وخاصة السواحل لا تماثل ما نجده اليوم. والمناخ خاصة وبالتابع المياه والنبات والحيوان المتأثر بأحوال المناخ جميعها لم تكن على ما أصبحت

ثقافي وحضاري، يستعمل اللغة وأداة رمزية للتعبير والتواصل، ثم يعنى بالبناء الأسري والاجتماعي.

#### X تطور إنسان شمال أفريقيا :

عرف إنسان شمال أفريقيا، ومنه الإنسان الأمازيغي، مجموعة من المراحل السلالية التي تطورت عبر الزمن؛ بسبب التغيرات المناخية والجيولوجية التي تعرضت لها المنطقة. « والجدير بالذكر-هنا- هو أن الأبحاث الأثرية التي تمت في أماكن عديدة من الأقطار المغربية؛ وصلت إلى اكتشاف أقدم أثر؛ لما أسموه إنسان الأطلس (Atlantropes)؛ الذي وصلت الفترة الزمنية التي عاش فيها- بهذه الربوع- إلى 400.000 سنة قبل الميلاد؛ ويعتقد المختصون أنه شبيه بالأثر المكتشف في الصين الذي سموه (Sinanthrope)؛ ثم الذي عثر عليه في جاوة وتانزانيا؛ المسمى (Pithécanthrope). وقد عثر على بعض الأدوات الحجرية البسيطة التي كان يستعملها هذا المخلوق. وقد العلماء الفترة التي عاش خلالها بالعصر الحجري السفلي (الأدنى). وتأتي بعد هذا- زمنيا- البقايا الهامة التي اكتشفت في مغارة جبل أرحود بالمغرب الأقصى، وبعض المواقع في كل من الجزائر، وتونس. وهذا الصنف من المخلوقات سماه العلماء بإنسان نياندرتال (Homme Neandertal) نسبة إلى منطقة في ألمانيا؛ اكتشف فيها الآثار الأولى لهذا المخلوق . وقد حدد العلماء زمن وجوده بفترة تنحصر بين 40.000 و 25.000 سنة قبل الميلاد. بمعنى أنه عاش خلال العصر الحجري الأوسط، وقد تردد العلماء في الإقرار بإنسانية هذين المخلوقين؛ نظرا للصفات البهيمية التي يتميزان بها؛ غير أن استعمالهما لبعض الأدوات الحجرية؛ جعل بعضهم يعتقدون أنهما يمكن أن ينسبا للإنسان العاقل.

وما هو مؤكد- حتى الآن- أن البقايا الإنسانية التي لا شك فيها، يعود تاريخها إلى العصر الحجري المتأخر الذي حددوا زمنه بفترة تمتد من 12.320 إلى 6.500 ق.م؛ وهذه البقايا الإنسانية تم اكتشاف العينات الأولى منها في مشتي العربي بالجزائر. ثم اكتشفت عينات أخرى في منطقة قفصة بتونس؛ سمي صاحبها إنسان ما قبل المتوسطي، وهو يختلف في تقاطيع جمجمته عن إنسان مشتي العربي»<sup>10</sup>

11 - اصطيغان اكصيل : تاريخ شمال أفريقيا، ترجمة: محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2007م، ص: 159.

10 - بوزياني الدراجي: القبائل الأمازيغية، الجزء الأول، دار الكتاب العربي، الجزائر، الطبعة الأولى سنة 2003م، ص: 29-30.

احترازا من الأول لا يكتفي بمهاجمة نتائج بحوث ش.ديبري وأتباعه فحسب، بل ينتقد الملاحظات التي تعتمد عليها هذه النتائج. وحتى الذين يقبلون التخطيط جملة، فإنهم يعترفون بأنه يوجد فيه بعض المتناقضات التي كثيرا ما تنال من مدلوله العام. فكيف يمكن لعلم ما قبل التاريخ أن يقرر، على أسس مشكوك فيها إلى هذا الحد، تواريخ نسبية لم يقدح أحد من قبل في صحتها؟ وبالإضافة إلى ذلك، فمن الواجب أن نؤكد أن علم الجيولوجيا تنتهي مهمته المتواضعة أو تكاد حينما نصل إلى العصر الحجري القديم.

وتصنيف ش.دي بري - و إن أصبح مجرد افتراض للبحث بصورة وقتية على الأقل - فإنه إطار مناسب يمكن أن نسجل فيه المعطيات الخاصة بالعصر الحجري القديم أو المعطيات الأثرية على أساس أنها مجرد إمكانيات. وترجع أقدم آثار للإنسان في المغرب الأقصى في الحد الذي بلغته معلوماتنا، إلى عصر ما بعد الصقلي وما قبل الميلادي حسب نظرية

أبداها أ.نوفيل وأ. رولمان وتبناها الأب ه.بروي. أما في الجزائر، فإن بعض المعالم يجب إرجاعها حتى إلى الفيلافراشي حسب الاكتشافات الحديثة التي قام بها س.أرمبورغ في عين الحناش بجهة سطيف. إلا أن الإجماع لم يحصل حول هذه النقطة أيضا، وبقي باب المناقشة مفتوحا بين أنصار التواريخ «المحدودة». أي: الذين يجعلون أوائل العصر الحجري القديم في ما بين الجليدي ريس- ورم وأنصار التواريخ «الممتدة» الذين يجعلونها في عصر ما بين الجليدي قونز- مندال. وحتى لو ذهبنا مذهب أ. رولمان في تناسب «الكلاكتو- أبيلي» مع عصر ما بين الجليدي قونز ميندال «و«البيفيلي» (شيلي) مع عصر ما بين الجليدي «مندال- ريس» والآشولي، وهو معاصر تقريبا للموستيري السفلي، ويناسب عصر ما بين الجليدي «ريس- ورم»، فإن ذلك لا يعني أن هذا التناسب يصح على إفريقيا الشمالية كلها. فلم يتيسر ضبط طبقات الصخور إلا بفضل ما اكتشف في مقطع سيدي عبد الرحمان بالقرب من الدار البيضاء - إلا أن أسس هذا الضبط نفسها مشكوك فيها كما سبق أن أسلفنا. والذي تمتاز به بلاد البربر هو «التفوق المطلق» لمراكز السطح

عليه اليوم. فالذي ينتظره مؤرخ ما قبل التاريخ من الاختصاصيين الآخرين هو في آخر الأمر أن يمكنوه من ربط مصير الأجناس المنقرضة بتقلبات العوالم الميته.<sup>12</sup>

كذلك، يرى شارل أندري جوليان بأن إنسان شمال أفريقيا، على الصعيد الجيولوجي، يتموقع بين العهد الصقلي والعهد الميلادي، ضمن العصور الحجرية القديمة: «إن علم طبقات الصخور الخاص بالحقبلة الرباعية البحرية، وهو المرجع الوحيد لمؤرخ ما قبل التاريخ في دراسته لإفريقيا الشمالية، يعتمد في خطوطه الكبرى على التصنيف الذي وضعه ش.ديبري (Ch. Depert) منذ ما يقرب من ثلاثين سنة. ويقوم هذا التصنيف على وجود شواطئ متحجرة في مواضع مختلفة من البحر المتوسط، ويكتشف الباحث هذه الشواطئ في مستويات معينة، أو يزعم أنها معينة، ويجد فيها بقايا حيوانات متماثلة. أما اختلاف هذه المستويات، فيعزى إلى حركات (ستاتيكية) ناتجة عن ظواهر التجلد والذوبان. وكاد الباحثون أن يجمعوا على التناسب الآتي:

u الصقلي (100-90م) يناسب آخر عصور ما قبل الجليدي؛

v ميلادي (60-55م) يناسب عصر ما بين الجليدي (قونز - ميندال)؛

w التيريني (30-28م) يناسب عصر ما بين الجليدي (مندال- ريس)؛

x المنستيري أو القريملي (20-15م) يناسب عصر ما بعد الجليدي (ريس ورم)؛

y العصر الحالي ما بعد الورميني أو ما بعد الفلاندي بحسب رجوعنا إلى التجليد الأخير أو الفيضان البحري الذي تبعه.

لكن هذا التخطيط الذي يرتاح إليه الكل أيما ارتياح لم يلاق من سوء الحظ إجماع علماء الجيولوجيا، بل يمكن القول بأن أغلبهم يرفضونه اليوم. ففريق يأبى أن يقر بالتراطبات المشار إليه أنفا بين مختلف مستويات المميزة للساحل المتوسطي وبين عصور ما بين الجليدي، خاصة وأن التجلد الذي قرره قونز مشكوك في صحته عند الكثيرين، وفريق آخر أشد

12 - شارل أنري جوليان: تاريخ شمال أفريقيا، تعريب: محمد المرالي وبشير بن سلامة، الجزء الأول، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى سنة 1969م، ص: 30.



إلى حوالي 400.000 سنة قبل اليوم، وإنسان الرباط حوالي 200.000 سنة، وإنسان سلا، وإنسان تمارة حوالي 170.000 سنة، وإنسان سيدي عبد الرحمن المكتشف سنة 1998، حوالي مليون سنة، والبقايا المستخرجة من محجر طوما بالدار البيضاء.

وإذا كانت بقايا الإنسان المنتصب القائمة في إندونيسيا والصين يتراوح عمرها ما بين مليون وسبعمائة ألف سنة قبل الميلاد، فإن بقايا المغرب تغطي مرحلة زمنية تمتد ما بين مليون سنة ومائة وسبعين ألف سنة قبل الميلاد. وهذا يعني أن هناك استمرارا للوجود البشري في المغرب، بل وأن هذا الوجود كان مكثفا، على الرغم من قلة التنقيبات والأبحاث الأثرية؛ مما يؤكد أن المغرب من البلدان القليلة التي كانت مأهولة بالإنسان منذ أكثر من مليون سنة.<sup>15</sup>

ويعني هذا كله بأن الإنسان المنتصب القائمة كان متواجدا، بشكل كبير، في شمال إفريقيا منذ سنوات خلت، تقدر بأكثر من مليون سنة.

#### @ إنسان جبل إيغود:

يسمى هذا المخلوق البشري بإنسان النيدارتال (Neandertal) الذي اكتشف وجوده بألمانيا، وقد عاش هذا الإنسان ما بين 200.000 و35.000 سنة قبل الميلاد. وهو أكثر تطورا من الإنسان المنتصب القائمة، وتعد فرنسا المستقر الأصلي لهذا النموذج البشري حسب الاكتشافات المعروفة لحد الآن. و« في شمال إفريقيا، لم يعثر على أية بقايا للنيدارتال، بينما استخرجت نماذج بشرية أخرى عاشت في المرحلة نفسها، وهي المعروفة في المغرب بإنسان جبل إيغود.»<sup>16</sup>

هذا، ويعبر اكتشاف جبل إيغود عن وجود إنسان ينتمي إلى مرحلة الإنسان الحكيم العاقل أو العاقل العاقل بمرحلة زمنية تقدر بـ130.000 سنة قبل الميلاد حسب الباحث المغربي بنصر.

«وإلى غاية 1981 م، كان الكثير من المهتمين بالتطور البشري في المغرب، يعتقدون أن بقايا جبل إيغود المستخرجة من موقع يبعد بحوالي 30 كلم جنوب شرق مدينة أسفي، أنها بقايا نيدارتالية، وكان هذا هو المتداول منذ اكتشاف إنسان جبل إيغود سنة

التي توجد فيها معالم ما قبل عصور التاريخ.»<sup>13</sup> وعليه، فقد تبين للباحثين الأجانب أن الإنسان لم يظهر، في منطقة شمال أفريقيا، إلا في مرحلة العصر الحجري القديم. والدليل ذلك مجموعة من الاكتشافات والاستنتاجات الأثرية التي توصلوا إليها في العديد من المناطق الصحراوية، كما يتبين ذلك جليا في النقوش الصخرية، والأدوات المستعملة، والقطع الحجرية، والهيكل البشرية...

#### X نماذج من السلالات الإنسانية في شمال أفريقيا :

عرفت منطقة شمال أفريقيا عدة نماذج إنسانية ومخلوقات بشرية، تطورت مع تغير العوامل المناخية والبيئية والوراثية، ويمكن حصرها في النماذج التالية :

#### @ الإنسان القروي الجنوبي :

لم يظهر الإنسان القروي الجنوبي أو الأسترالوبيثيك (Australopithecus) إلا في شرق أفريقيا وجنوبها، وبالضبط في نهاية الزمن الجيولوجي الثالث، ما بين 3.5 و6 ملايين سنة. « ولحد الآن، لم يعثر على بقايا هذا النموذج في المغرب، إلا أنه، في المقابل، تم اكتشاف نماذج عديدة من الأدوات الحجرية التي كان يستعملها هذا الإنسان في مواقع كثيرة في كل شمال إفريقيا، وخاصة في المغرب، في شماله وجنوبه ووسطه وصحرائه. ووجود مظاهر حضارات هذا الإنسان في المغرب يدفعنا إلى طرح فرضية وجود هذا المخلوق في بلدنا إلا أن الأبحاث والتنقيبات الأثرية والباليونولوجية لم تصل إليه بعد.»<sup>14</sup>

ويعني هذا أن منطقة شمال أفريقيا عرفت ظهور الإنسان القروي من خلال الأدوات الحجرية التي كان يستعملها، وهي بمثابة بصمات دالة على تواجده في هذه المنطقة.

#### @ الإنسان المنتصب القائمة (Homo Erectus)

يمثل هذا الإنسان مرحلة متطورة مقارنة مع المرحلة السابقة، فقد اكتشفت آثار دالة على هذا الإنسان في إفريقيا وآسيا. أما في المغرب، فقد عثر على سبعة نماذج تنتمي إلى الإنسان المنتصب القائمة منها : « إنسان سيدي عبد الرحمن الأول الذي يعود تاريخه

13 - شارل أندري جوليان: نفسه، ص: 32.

14 - مصطفى أعشي : جذور بعض مظاهر الحضارة الأمازيغية خلال عصور ما قبل التاريخ، طارق بن زياد، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2002م،

15 - مصطفى أعشي : جذور بعض مظاهر الحضارة الأمازيغية خلال عصور ما قبل التاريخ، ص: 12-13.

16 - مصطفى أعشي : نفسه، ص: 13.

هذا أن الإنسان العاطري ينتمي إلى العصر الحجري الوسيط. وقد أطلق عليه اسم (الإنسان العاطري أو العتيري)، نسبة إلى موقع بئر العاتر التابع لولاية تبسة بالجزائر على حدود تونس<sup>19</sup>، وقد سمي أيضا بـ (الإنسان الحزوني) نسبة إلى اعتماده على الحزون في غذائه.

ويتميز هذا المخلوق باستخدام أدوات حجرية كالصوان، وتلوين جدران الكهوف، والرسم على شواهد القبور، و تصوير مختلف الحكام والملوك الذين تعاقبوا على حكم تلك الجهة التي كان يسكنها الإنسان العاطري.

ويؤكد الباحثون أن هذا الإنسان كان معاصرا «لإنسان كرومانيون الأوروبي، ويذهب أغلب الباحثين إلى أنه إنسان عاقل باستثناء كامبس. وقد وجد نموذج آخر له بدار السلطان بالمغرب. وهذا وما دفع الباحثين إلى الإقرار بانتشار هذا الإنسان في شمال غرب أفريقيا غرب الجزائر حتى سواحل المحيط الأطلسي»<sup>20</sup>.

وعليه، تعد الحضارة العاطرية أقدم حضارة في شمال أفريقيا إلى جانب الحضارتين الوهرانية والقفصية، وربما تتميز الحضارة العاطرية بأنها أكثر تقدما من الحضارتين السابقتين على المستوى التقني وصنع الأدوات. كما تشير الأبحاث الأنتروبولوجية والأركيولوجية إلى أن الإنسان الذي صنع الحضارة الموسستيرية بأوربا والعاطرية بشمال إفريقيا هو الإنسان النياندرتالي الذي تعود أصوله البكرة إلى فلسطين. وقد عثر على بقاياها العظمية في موقع (هوافتيح) بليبيا، تحيط به البقايا العاطرية.

ويعد الباحث الفرنسي ريكاس (Reygasse) من الأوائل الذي وصفوا الحضارة العاطرية في دراسته التي نشرتها الجمعية الفرنسية لتقدم العلوم سنة 1922م.

#### @ الإنسان الوهراني أو الإيبيروموروسي:

يرتبط الإنسان الوهراني بالحضارة الوهرانية الجزائرية، وهي امتداد للحضارة العاطرية، وتمتد زمنيا بين 14.000 و10.000 سنة قبل الميلاد. وتتميز الحضارة الوهرانية بأنها حضارة ساحلية تنتشر

1962م، إلا أن التحاليل والدراسات التي تعرضت لها هذه البقايا بمتحف التاريخ الطبيعي بباريس، أبرزت أن إنسان جبل إيغود لاعلاقة له إطلاقا بالنياندرتال، سواء على المستوى الفيزيولوجي أم على المستوى الاجتماعي. إذ إن إنسان جبل إيغود يجمع بين سمات عتيقة توجد في الإنسان المنتصب القائمة، وصفات حديثة نجدها في الإنسان العاقل العاقل. أي : إنه يتوسط النوعين. وبالتالي، يمكن اعتباره صلة وصل بينهما»<sup>17</sup>.

وينضح لنا، من هذا كله، بأن منطقة شمال أفريقيا قد عرفت ملامح الإنسان النياندرتالي، و ملامح الإنسان المنتصب القائمة، و ملامح الإنسان العاقل العاقل على حد سواء.

#### @ الإنسان العاطري:

بعد مرحلة الإنسان العاقل العتيق، ظهر الإنسان العاقل الحديث الذي دشن ما يسمى بالحضارة المغربية الأصلية أو ما يسمى أيضا بالحضارة العاطرية أو العتيرية التي عرفتها أفريقيا الشمالية ما بين 45.000 و20.000 قبل الميلاد. ومن الاكتشافات الدالة على هذا الإنسان مجموعة من المواقع الأثرية في كهف دار السلطان قرب الرباط، وكهف المناصرة بتمارة، وكهف تافوغالت ببركان، ومواقع أخرى قريبة من مدينة السمارة، وفي باقي بلدان شمال أفريقيا والصحراء الكبرى. وهذا الانتشار الكبير للإنسان العاطري ولحضارته يعكس مدى قوة هذا الإنسان وتفوقه الحضاري؛ مما جعله يفرض وجوده على كل بلدان شمال أفريقيا والصحراء الكبرى»<sup>18</sup>.

هذا، ويمكن إدراج اكتشاف مغارة (إيفري ن عمار) بمدينة الناظور، منذ سنة 1997م، ضمن المرحلتين العاطرية والوهرانية، إذ تم العثور على هياكل عظمية لأربع أطفال دفنوا في مقتبل العمر حوالي 15.000 سنة، ولإنسان بالغ دفن جالسا حوالي 18.000 سنة، وذلك حسب طقوس جنائزية كان يستخدمها الإنسان الإيبيروموريزي، إضافة إلى جدار أيسر للمغارة مطلي بالصباغة الحمراء منذ حوالي 14.000 سنة، يعد بمثابة أقدم تعبير فني في إفريقيا الشمالية. وتأسيسا على ماسبق، تمتد الحضارة العاطرية ما بين 20.000 و45.000 سنة قبل الميلاد. ويعني

19 - بلدة جزائرية، تبعد بمسافة 30 كيلومترا من الحدود التونسية، وتقع في الطرف الشمالي من جبل العنق، ترتفع عن سطح البحر 1000 م. مناخها شبه رطب، وتحتوي على أراض رعوية وزراعية واسعة.

20 - محمد حقي : البربر في الأندلس، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2001م، ص : 20.

17 - مصطفى أعشي: نفسه، ص : 14 .

18 - مصطفى أعشي: نفسه، ص : 16-15.

ومتداخلتين من الناحية الزمانية والمكانية.

#### @الإنسان القفصي:

ظهر الإنسان القفصي بعد الإنسان الإيبيروموري، وقد اكتشف لأول مرة سنة 1909م. وقد عاش هذا الكائن البشري في منطقة قفصة ما بين تونس وشرق الجزائر، ويتحدد زمنه في 7.000 أو 9.000 سنة قبل الميلاد. وقد وجدت له بقايا في المغرب تعود إلى 5.000 سنة قبل الميلاد. بيد أن الباحثين وجدوا إشكالا عويصا في معرفة جذوره المكانية، فهل هو شرقي أم غربي أم صحراوي أم أنه إنسان أصلي؟

ويحتمل أن يكون هذا الإنسان مشرقى الجذور؛ لأن بداية البشرية مشرقية، إذا استحضرننا دلائل الثقافة الدينية. ويرجعه محمد حقي إلى الشرق الأدنى : « وتوصلت الأبحاث الأثرية إلى التعرف على إنسان آخر منذ حوالي الألف التاسعة قبل الميلاد نعت بالإنسان القفصي، وينتشر شرق منطقة شمال أفريقيا. وتوافق ملامحه ملامح الإنسان الماقبل متوسطي. وقد قدم إلى المنطقة من الشرق الأدنى. فهناك، إذا، إنسان ماقبل متوسطي في الشرق وإنسان مشتي العربي في الغرب، وهما اللذان أعطيا الإنسان البربري القديم الذي سرعان ما اكتسب الخصائص المتوسطة».<sup>23</sup>

لكن مصطفى أعشي يرى بأن الإنسان القفصي صحراوي بامتياز. ينتمي إلى الصحراء الكبرى. وفي هذا الإطار، يقول الباحث : « وهذا ما يدفعنا إلى افتراض أن الإنسان القفصي صحراوي في الأصل، وأنه شرع في ترك الصحراء بسبب تغير المناخ الذي بدأ يحول الصحراء إلى منطقة جافة وقاحلة بالتدريج. هذا التغير الذي لايزال مسترسلا إلى يومنا هذا».<sup>24</sup>

وعليه، إذا كانت الحضارتان العاطرية والوهرانية أكثر انتشارا في شمال إفريقيا، فإن الحضارة القفصية أقل انتشارا في المكان والزمان، إذ لم تتجاوز المناطق الداخلية بتونس، وخاصة جهتي قفصة وتبسة. كما تمتد إلى شرق الجزائر، وخاصة جهة سطيف وقسنطينة، ولا تتعدى في الغرب جهة تيارت. ولم يعثر على أي أثر لهذه الحضارة لحد الآن

في شمال أفريقيا، من المغرب غربا إلى ليبيا شرقا. في حين، كانت الحضارة القفصية حضارة داخلية قارية. « وأول من سماها بلاري (Pallary) الذي أطلق عليها اسم الحضارة الإيبيرومورية معتقدا أنها صناعة قادمة من شبه جزيرة أيبيريا، غير أنه اتضح فيما بعد أن هذه الحضارة لاعلاقة لها إطلاقا بأيبيريا، وأنها حضارة محلية صرفة. وأعقب ذلك تحريات ودراسات وحفريات قام بها الباحث الفرنسي فوئري سنة 1932 في مواقع بالجزائر على الخصوص، مما حدا به إلى تسميتها بالحضارة الوهرانية.

ومن أهم سمات الحضارة الوهرانية صغر أدواتها الحجرية، ولاسيما النصال الصغيرة ذات الشكل الهلالي، والمكاشط المستديرة، وبعض الأدوات المستعملة لسحق الألوان بجانب أدوات من العظام المصقولة المهندمة»<sup>21</sup>

وعليه، فقد تميزت الحضارة الوهرانية بصناعة الفخار، وصقل الأحجار، وصناعة رؤوس السهام، والهدف من ذلك كله هو استعمالها في الصيد، والدفاع عن النفس. علاوة على ذلك، يلاحظ الباحثون أن هناك تداخلا وترابطا بين الحضارة العاطرية والحضارة الوهرانية. وفي هذا، يقول الباحث المغربي مصطفى أعشي : « إلى وقت قريب، كان يعتقد أن هناك فراغا حضاريا أو هوة (Hiatus) أركيولوجية تفصل بين الحضارة العاطرية والحضارة الوهرانية. ولكن التنقيبات الأثرية التي أجراها الباحث الفرنسي القس روش (l'Abbe Roche) في مغارة الحمام بتافوغالت بشرق المغرب، أثبتت أن المستويين الأثريين 17 و 18، من مستويات المغارة والواقعين في أسفل الطبقات الأثرية يمثلان الحضارة العاطرية وبداية الحضارة الوهرانية في المستويات العليا انطلاقا من المستوى<sup>16</sup>... وهذا ما يعني عدم وجود أية هوة بين الحضارتين العاطرية والوهرانية، وأن هناك استمرارية واتصالا بين الحضارتين. وليس من المستبعد أن يكون للحضارة العاطرية أثر في الحضارة الوهرانية».<sup>22</sup>

نستنتج، مما سبق توضيحه، بأن الحضارتين العاطرية والوهرانية كانتا أكثر انتشارا في بلدان شمال أفريقيا، وكانتا حضارتين متقاربتين

23 - محمد حقي : البربر في الأندلس، ص : 21.

24 - مصطفى أعشي : نفسه، ص : 16-17 .

21 - مصطفى أعشي : نفسه، ص : 24.

22 - مصطفى أعشي : نفسه، ص : 23.

القفصي)، وأماكن ساحلية شاطئية ( الإنسان الوهراني).

#### × مناقشة المواقف :

يلاحظ أن ثمة تناقضا واضحا بين الدراسات الأنثروبولوجية والتكنولوجية واللسانية فيما يخص أصل الإنسان الأمازيغي ونشأته، فهناك من يقول بالأصل المحلي لهذا الإنسان. وهناك من يقول بالأصل الزنجي. وهناك من يقول بالأصل المتوسطي والأوروبي. وهناك من يقول بالأصل السامي - الحامي أو الأصل المشرقي. وفي هذا، يقول عبد الله العروي : « سكنت المغرب جماعة تنتمي إلى الجنس المتوسطي الأول (أي الجنس الذي عمر حوض البحر الأبيض المتوسط). ثم امتزجت فيما بعد مع جماعتين متوسطتين أيضا، جاءتا من آسيا الغربية عن طريقين مختلفين. اتخذت الأولى طريقا ساحليا فاحتفظت على سميتها الأصلية. أما الثانية، فإنها توغلت في الجنوب معرجة على أفريقيا الشرقية، فامتزجت بالعنصر الزنجي. هذا ما يستخلص الآن من دراسة الآثار، أكانت أدوات أو هياكل عظمية. يجب هنا التنبيه على أن البقايا قليلة جدا، تغطي قسما ضئيلا من المنطقة لا يصل إلى الشمال الغربي ولا في الصحراء، ثم إن العظام البشرية والأدوات الحجرية لا توجد أبدا في مواضع واحدة. لا يمكن، إذا، أن نقول : إن النظرية وصلت إلى حد اليقين، مهما يكن من مطابقتها للواقع، نلاحظ أن القائمين بها لا يفصلون في مسألة الأصل الشرقي أو الغربي بالنسبة لمجموع السكان. إنهم يسجلون الاختلاف القائم، ويسقطونه على فترات قبل-التاريخ...»<sup>29</sup>

وعليه، إذا كان الباحثون الأنثروبولوجيون، بما فيهم الدارسون الكولونياليون، يشرحون إنسان شمال أفريقيا لمعرفة امتداداته الزمنية، وأصوله المكانية، بغية تثبيت جذوره الغربية أو البربرية، فإن الدراسات اللسانية واضحة في هذا المجال، إذ تعتبر الأمازيغية لغة تنتمي إلى الفصيلة السامية الحامية. وبالتالي، فجذور الإنسان الأمازيغي - لسنيا - مشرقية محضة.

علاوة على هذا، يستخلص محمد حقي من « الدراسات الأنثروبولوجية أن أصل الإنسان البربري خليط من إنسان محلي تطور في المنطقة، وإنسان طارئ قدم

في المغرب والصحراء. لكن يبدو أنه عثر على ما يشبه هذه الصناعة في الواحات المصرية وجنوب مصر وشمال السودان»<sup>25</sup>

هذا، ويعد (إنسان مشتي العربي) نموذجا آخر من نماذج الإنسان القفصي. وقد توصل الباحثون ، في الجهة الشرقية من الجزائر، إلى مجموعة من الجماجم البشرية التي تثبت قدم الإنسان في شمال أفريقيا. وفي هذا، يقول الباحث المغربي الدكتور إبراهيم حركات : « وقد عثر في قسنطينة على عدة جماجم بشرية ترجع إلى العصر الحجري القديم، وأهمها ما وجد بكهوف علي بابا وإيم ومشتي العربي وأفالوبورومل، وتمثل الجنس الحبشي ببشرته الداكنة وجنس البحر المتوسط ببشرته المتفاوتة صفاء، أو على الأصح فإنها تنتمي إلى نوع (Cro-Magnon) الأوروبي الذي ينتمي إليه الجنس المذكوران فيما يقال. وهذا النوع البشري قد عمر معظم أجزاء الشمال الأفريقي إلى نهاية العصر الحجري القديم»<sup>26</sup>

وعليه، فقد اكتشف علماء الآثار إنسانا أفريقيا قديما آخر في (مشتي العربي) شرق الجزائر. بيد أنه أحدث من الإنسان العتيري. لكن الباحثين انقسموا في تحديد أصله إلى فريقين : فريق يفترض أنه نزح إلى المنطقة من أوروبا عبر جبل طارق، وفريق ثان يرى أنه قدم من فلسطين. لكن كامبس<sup>27</sup> يؤكد أن كلا المذهبين يحلمان نواقص كثيرة ؛ مما يرجح فرضية أصله المحلي. كما افترض ذلك عدد من الباحثين الجادين الذين اعتبروه مجرد تطور للإنسان العتيري»<sup>28</sup>.

ويعني هذا أن إنسان مشتي العربي هو امتداد للإنسان العاطري في الجزائر، وهو أحدث زمنيا مقارنة بالإنسان العاطر. وقد استوطن سواحل شمال أفريقيا في الحقبة الزمنية من العصر الحجري الممتدة من 23 ألف إلى 10 آلاف سنة قبل الميلاد.. ومن هنا، يتبين لنا بأن الإنسان القديم، في شمال أفريقيا، كان ينتقل بين أماكن داخلية قارة ( الإنسان

25 - مصطفى أعشي: نفسه، ص: 26.

26 - د. إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، الجزء الأول، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى 2009م، ص: 13.

27 - Camps (G): *Berbères aux marges de l'histoire*. Ed. des Hespérides, 1980, p: 39.

28 - محمد حقي : البربر في الأندلس، ص: 21-20

29 - عبد الله العروي : مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، طبعة 1984م، ص: 39.



من الشرق الأدنى. ومكنت الهجرة من اندماجهما واختلاطهما، فأنجبا الإنسان البربري. ولقد أكدت الأبحاث الأنتروبولوجية أن الإنسان المغربي خليط من الإنسان المحلي والإنسان الأجنبي القادم من الشرق».<sup>30</sup>

وعلى الرغم من الدراسات الأنتروبولوجية الجادة في هذا الميدان الشائك، فإن البحث في جذور الإنسان الأمازيغي قد يكون لدواعٍ سياسية وإثنية واستعمارية، الهدف منها ترسيخ قوة المركزية الأوروبية، والغرض من قيمة السلالات العرقية الهامشية الأخرى على مستوى العطاء الحضاري والثقافي. ومن هنا، فالبحث «في بدايات الإنسان وأصوله البيولوجية والتاريخية ليست مجرد ترف فكري، حيث إن معرفة أصولنا الإفريقية تعتبر بمثابة دعوة موجهة لكل الأيديولوجيات العنصرية في العالم، والتي تقيم منظومتها الفكرية والعقائدية على أساس الأفضلية، بأن تكف عن فكرة تفوق الأجناس والشعوب على بعضها. فسكان أستراليا الأصليون والهنود الحمر والأفارقة الذين استعبدتهم الأمريكان لقرون عديدة جميعهم ينتمون للإنسان الحديث، ويرجعون للأصول نفسها، مثلهم مثل أشد الأوروبيين غطرسة وتكبرا.

ومعرفة أصول الإنسان البيولوجية - والتي هي في غاية الوضاعة - بمثابة دعوة للإنسان للتواضع، والانسجام مع الطبيعة والبيئة بكل موجوداتها. ومعرفة أن تاريخ الإنسانية برمنه ليس سوى ومضة سريعة من تاريخ الأرض وتاريخ الكون، وأن هذا العمر القصير يعني أن ما زال أمام الإنسان عصورا طويلة قادمة ليسكن خلالها هذا الكوكب، وإذا ما استمر في عيشه عليه بهذا القدر نفسه من الحماية والغرور، فسينتهي به المطاف منقرضا. تماما كما حصل للديناصور، ولكن هذه المرة بنيزك بشري مجنون. فهل نأخذ درسا من تاريخ الأرض، بأننا لسنا استثناء في نظامها الصارم»<sup>31</sup>

وعلى العموم، تثير أنتروبولوجية إنسان إفريقيا الشمالية مشاكل عدة على مستوى الدراسة والبحث والتصنيف والتقويم؛ نظرا لتداخل العلوم والمعارف أثناء التنقيب في مختلف العصور التي رافقت هذا

الإنسان من البداية حتى يومنا هذا، بكل مكوناته الوراثية والبيولوجية، وبصماته التقنية والثقافية، ناهيك عن تضارب أقوال الباحثين وتناقضها وتجدها من حين لآخر، بعد اكتشاف آثار جديدة، ثم الانسحاق وراء أهواء إيديولوجية وعنصرية. وفي هذا، يقول أندري جوليان : « إن مؤرخ عصور ما قبل التاريخ إذا رام دراسة إفريقيا الشمالية وجد نفسه أمام مشكلتين أساسيتين، تتفرع عنها في آخر الأمر جميع المشاكل الأخرى. فعليه أولا أن ينسق ويوفق بين المعطيات المتنافرة التي يمد بها علم طبقات الأرض (جيولوجيا)، وعلم الحفريات القديمة (بلنولوجيا)، وعلم وصف الإنسان (أنتروبولوجيا)، وعلم الآثار. وعليه أن يربط بين النتائج التي أتت هي إليها، وبين ما وصل إليه علم ما قبل التاريخ من معلومات بالنسبة لأوروبا وإفريقيا والشرق المتوسطي. وبعبارة أخرى، فإن عمله يقتضي ضبط تواريخ نسبية للمعالم التي خلفها الإنسان الأول، ومقارنتها بالتواريخ التي حدد ج.دي موريتي أصولها سنة 1869م، بواسطة تصنيف النماذج الصناعية، وقد عدلت منه طبعا الاكتشافات التي تمت بعد ذلك التاريخ تعديلات ملموسة.

والعناصر التي يستمد منها علم ما قبل التاريخ من العلوم التي يضطر إلى تسخيرها لحاجاته لا تؤلف من سوء الحظ مجموعة متماسكة من حقائق قارة غير مقدوح فيها.

ومن شأن الاكتشافات الجديدة أن تنقض دائما النظريات السابقة لأوانها حتما، والتي ينتهي إليها الباحث بطبيعة بحثه. وعلى الرغم من ذلك، إن الاختصاصيين لا يتفقون عادة على نسق واحد، وإن كان وقتيا. ومعنى هذا أن مؤرخ عصور ما قبل التاريخ يقيم بناءه الضعيف على أرض لا استقرار لها - مثله كمثل منازل اليابان يهددها الزلزال دائما.<sup>32</sup>

وعلى أي حال، تخضع أنتروبولوجية الإنسان بصفة عامة، وأنتروبولوجية إنسان شمال إفريقيا بصفة خاصة، لمختلف الحثيات السياسية والإيديولوجية والإثنية، أكثر مما تخضع للمقاييس العلمية الموضوعية؛ والسبب في ذلك هو تداخل الذاتي مع الموضوعي في مجال العلوم الإنسانية. وبالتالي،

30 - محمد حقي: نفسه، ص: 21.

31 - عبد الغني سلامة: نفسه، والرابط نفسه.

32 - شارل أندري جوليان: نفسه، ص: 29.

إطلاقاً لا في هذه المنطقة ولا في غيرها من بقاع العالم. وما يمكن التأكيد عليه، بهذا الصدد، هو أن الذي يوحد الإنسان، ويكيّفه في بوتقة معينة هو الثقافة واللغة، وأن عدم وجود أجناس بشرية أدى إلى وجود مجتمعات بشرية.

ولا تستطيع أي جماعة أو أي شعب أن يزعم أنه من سلالة واحدة؛ لأن الحقيقة أن أي شعب من الشعوب مكون من تظافر عدة مجموعات بشرية امتزجت وتداخلت صفات بعضها في البعض الآخر.<sup>33</sup> وهكذا، يبدو لنا بأن إنسان شمال أفريقيا وحدة عضوية وساللية مهجنة بمجموعة من الأعراق المتعددة الشرايين. وبالتالي، لا يضر هذا الإنسان إن كان ملقحاً بدماء مختلفة ومتنوعة المشارب، وهذا دليل على انفتاح هذا الإنسان، وأية على سموه الثقافي والحضاري والأنثروبولوجي.

يستحيل الفصل بينهما بشكل دقيق، مهما كانت الذات محايدة .

## الخاتمة :

وخلاصة القول، يتضح لنا، مما سبق ذكره، بأن أنثروبولوجية الإنسان في شمال أفريقية تتأرجح بين التيار العلمي الموضوعي من جهة، والتيار الذاتي من جهة أخرى؛ مما أثر سلباً على نتائج هذه الأبحاث على مستوى التصنيف، وتحديد الجذور. بل هناك أيضاً خلط بين المراحل الزمنية من العصر الحجري القديم إلى عصر الإنسان الحديث، ناهيك عن عدم التدقيق في تعداد المراحل الأنثروبولوجية التي مر بها إنسان تامازغا، والتقصير في استكشاف مواصفاته؛ وعدم ضبط السنوات بشكل علمي دقيق. ومن ثم، فهناك نسبية واحتمال وتضارب واختلاف في النظريات والتصورات والأحكام والاكتشافات. وعلى الرغم من هذا، يمكن القول بأن منطقة شمال أفريقيا عرفت نماذج بشرية عدة منذ العصر الحجري القديم إلى العصر الحديث، مثل: الإنسان القروي الجنوبي، والإنسان المنتصب القامة، والإنسان العاقل العاقل أو إنسان جبل إيغود، والإنسان العاطري، والإنسان الوهراني، والإنسان القفصي... بيد أن الباحثين اختلفوا في أصل هذا الإنسان، فتضاربت أقوالهم حول جذوره المكانية، فهل هو مشرق أم غربي أم محلي أم أفريقي زنجي؟ فكانت الأجوبة مختلفة ومتناقضة فيما بينها؛ بسبب تداخل الذاتي والموضوعي، والانسحاق وراء دوافع سياسية وإيديولوجية وعنصرية لفصل الإنسان الأمازيغي عن الإنسان العربي، وربطه بالغرب وحضارة البحر الأبيض المتوسط من جهة، أو الحط من قيمته من خلال نظرة استعلائية تمجد حضارة الغرب، وتسفه بحضارتي البربر والعرب معا من جهة أخرى.

وعلى أي، فإنسان شمال أفريقيا سلالة مختلطة ومركبة، فيها عروق أفريقية، وعروق سامية مشرقية، وعروق أوروبية، وعروق بربرية. وهذا ما يثبته مصطفى أعشي بقوله: « إن الحديث عن جذور الإنسان الأمازيغي أو الإنسان المغربي وأصوله، لا يعني أن هناك بالفعل عرقاً أو إثنية أو سلالة خاصة بالأمازيغ في المغرب القديم؛ لأن العرق أو السلالة أو الجنس الصافي، من الناحية العلمية، غير موجود

33 - مصطفى أعشي : نفسه، ص: 7-8.